الاميران في سوريا

اميران جليلان زارا سوريا في الشهر الغابر ، وتنقلا بين آثارها وربوعهـا : البرنس فردريك ايتل نجل اكبر عاهل غربي ، والامير محمد علي شقيق أعظم امير شرقي . جاء الاول القدس الشريف للاحتفال بتدشين المستشفى الالماني ، وزار الثاني سوريا ولبنان سائحاً متجولاً . فكان في زيارة الاميرين اكبر معنى ، واشرف مغزى

١

فلسطين وطن الانبياء ، ومهد الشعر والشعراء :

وقف ارميا في ربوعها راثياً ، فسالت قريحته بارق الاشعار ، وقام على اطلالها نادباً باكياً ، فعلّم الشعراء كيف يكون الوقوف والبكاء على الاطلال

وأنشد النبيُّ داود متغزلاً بابنة صهيون على المزمار والقيثارة ، فاوقف العالم على سرّ الغزَل والانشاد . . .

ورفع سليمان في اورشليم ، عمـد هيكله العظيم ، فعلّم الملوك كيف تُبنى الهياكل ، وترفع الاعماد . . .

شعوبٌ إثْرَ شعوب ، وملوكٌ تلو ملوك ، توالت على تلك الناحيـة وعرفت منتهى العظمة والعمران ، وذاقت ثمالة المذلة والهوان

هذه هي فلسطين التي ترحب اليوم بابن عاهلِ الالمان ومُواطِن جوت وشولر ، ترحّب وتؤهّل ذاكرة ملوكها وشعراءها ، وقد حفظت في جوفها رفاتهم ، وفي هوائها انفاسهم ، وعلى آثارها وفي هياكلها ذكرهم واسماءهم

ومن تلك الآثار العافية ، والهياكل الدارسة ، ينبعث صوت الارشاد والذكرى

وفوق اشلاء المدن ، وتراب الممالك التي يدوسها اليوم ابن الامبراطور تُقرأ سطور العظة والعبرة

فعسى ان يكون قد ذكر واتَّعظ واعتبر

يصعد الرحَّالة النشيط مجرى النيل ليقف على منبعه ، وكذلك صعد الاميرُ الالماني الى جبل الزيتون ليجد الدين هناك سالماً طاهراً ، قبلما تشوب صفاءه كدرة اهواء البشر واغراضهم ، وتفسد طعمه العذب مرارة ترَّهاتهم وسخافاتهم

فعسى ان يكون قد فاز بتلك الامنية

وحينئذٍ يعود الى بلاده ، حاملاً في برديه ، كلمة الوئام والسلام ، بعد ما اتعظت نفسه بعواقب العدوان والخصام

ويدرك معنى الثورات والانقلابات ، بعد ان راد بلاداً حدثت فيها الثورات الكبار ، فاكلت العروش ، وقرضت الجماعات والاجيال

ويعرف كيف تساس الامم ، وتقاد الشعوب ، وكيف يكون التاج المرصع على مفرق القياصرة ، بعد ما رأى اكليل الشوك مدمياً جبهة ابن دواود . . .

هذا ما نريد ان يعود به امير الغرب من الشرق ، ولا نريد ان نفهم لزيارته غير ذلك من المعاني

في الماضي ارسل هارون الرشيد مفاتيح البيعة الى كارلس الاكبر

امبراطور الفرنجة دليل الاتفاق والسلام، واليوم يزور البيمة ابن الامبراطور الاكبر فليكن ذلك دليل التصافي بعد الخصام

٢

مصر وسوريا قطران شقيقان ، وبلدان متاخمان . يجمعهما التاريخ وتربطهما اللغـة والعادات والتقاليد . ولقد أصبح الادب ، أشد رابطـة بينهما من صلة النسب

نحن في عصرٍ كثرت فيه المزاحمة ، واشتدت المنافسة ، حتى كادت كل امة تخشى ان تمشي وحدها ، فماهدت وحالفت للتضافر والتآزر في سيرها العمراني

وكل شيء يمهّد للقطرين المصري والسوري سبل التعاهد والتحالف ، ليسيرا جنباً الى جنب في مدارج الرقي ، ولا يخفى على احد ما في ذلك من الفوائد الجمة

زار الامير محمد علي ربوع الشام ، وقد عرفت الشام ما بينها وبين مصر ، فنهضت نهضة واحدة لتكرم مثوى الامير المصري ، وهي تكرم في شخصه الكريم كل سكان وادي النيل

ولائم ومآدب ، وخطب وقصائد ، وجموع هازجة ، وجماهير مهللة ، في بيروت ولبنان ودمشق وحمص وحماه وحلب وطرابلس وفي كل مدينة حلها الامير ضيفاً كريماً على السوريين

امراء عظام ، وضيوف اعلام زاروا سوريا قبل الدستور وبعده ، فاستقبلتهم الحكومة استقبالاً رسمياً ، ولكن لم يحتفل بهم الاهالي

احتفالاً عاماً اهلياً

لان زائر اليوم ضيف ولا كالضيوف، واميرٌ ولا كالامراء . هو شقيق امير مصر ، ومصر شقيقة سوريا : في الماضي والحاضر والمستقبل ، في السرّاء والضرّاء

صفقت افنان رياض الشام ، واغصان ارز لبنان لوصول الامير المصري

واهتزّت آثار بعلبك وترنحت طرباً للقاء من ربي بجوار الاهرام

وانسابت مياه العاصي والليطاني لتحية ابن النيل

وقامت جبال سوريا تنظر الى سليل ابرهيم باشا لان اسم ابرهيم قد ملأ تلك الانحاء ، وذكر عدله قد سكن قلوب بنيها

ولئن طافها العلَم المصري في يد ابرهيم غازياً ، فهو يطوفها اليوم في يد محمد علي مسالماً مصافياً

في جوار بيروت غابة صنوبر زرعها ابرهيم باشا على ما يقال ليرد عن المدينة غارات الرمال ، فكانت تلك الغابة اكليلاً اخضر على جبهة بيروت

في تلك الغابة استقبلت بيروت حفيد ابرهيم ، وهي لعمري فكرة جميلة ، لم تَخفَ على الامير

جلس الامير في ظل تلك الاشجار الباسقة الملتفة الاغصان ، فذكر جده . وسمع بين حفيف الاوراق صوتاً معروفاً ينشده :

لئن بتُّ بالمجد المؤثل مغرماً　　فقد كان ابرهيمُ بالمجد مغرما

و(الزهور) السورية البذرة ، المصرية المنبت ، تنتظم اكليلاً باهراً على جبهة مصر وسوريا ، لتحية ابن مصر نزيل سوريا